

## التحرير والتنوير

ارتقاء في التعريض إلى ضرب منه قريب من الصريح . وهو المسمى في الكناية بالإشارة . كانت مقالة الذين من قبل مماثلة لمقالة المخاطبين فإذا كانت هي سبب ما ذاقوه من الوبال فيوشك أن يذوق مماثلهم في المقالة مثل ذلك الوبال . فاسم الإشارة عائد إلى المذكور من الوبال والعذاب الأليم . فهذا عد لكفر آخر من وجوه كفرهم وهو تكذيبهم الرسول A وتكذيبهم بالقرآن فإن القرآن بينة من البينات لأنه معجزة . والباء للسببية في موقع العلة . والضمير الشأن لقصد تهويل ما يفسر الضمير وهو جملة ( كانت تأتيهم رسلهم بالبينات ) إلى آخرها . والاستفهام في ( أبشر ) استفهام إنكار وإبطال فهم أحالوا أن يكون بشر مثلهم يهدون بشرا أمثالهم وهذا من جهلهم بمراتب النفوس البشرية ومن يصطفيه الله منها ويخلقه مضطلعا بتبليغ رسالته إلى عباده . كما قال ( وقالوا ما لهذا الرسول يأكل ويمشي في الأسواق ) وجهلوا أنه لا يصلح لإرشاد الناس إلا من هو من نوعهم قال تعالى ( قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ) ولما أحالوا أن يكون البشر أهلا لهداية بشر مثله جعلوا ذلك كافيا في إعراضهم من قبول القرآن والتدبر فيه . والبشر : اسم جنس للإنسان يصدق على الواحد كما في قوله تعالى ( قل إنما أنا بشر مثلكم ) ويقال على الجمع كما هنا . وتقدم في قوله ( وقلن حاش الله ما هذا بشرا ) في سورة يوسف وفي سورة مريم عند قوله ( فتمثل لها بشرا سويا ) . وتنكير ( بشر ) للنوعية لأن محط الإنكار على كونهم يهدونهم وهو نوع البشرية . فلذلك اعتقدوه حتى ذلك قالوا وما الإنكار تقوى لقصد الخبر على إليه المسند وتقديم A E أقدموا على الكفر برسلهم إذ قد اعتقدوا استحالة إرسال الله إياهم فجزموا بكذبهم في دعوى الرسالة فلذلك فرع عليه ( فكفروا وتولوا ) . والتولي أصله : الانصراف عن المكان الذي أنت فيه وهو هنا مستعار للإعراض عن قبول دعوة رسلهم وتقدم عند قوله تعالى ( ثم توليتم من بعد ذلك ) في سورة البقرة . ( واستغنى ) غني فالسين والتاء للمبالغة كقوله ( أما من استغنى ) . والمعنى : غني الله عن إيمانهم قال تعالى ( إن تكفروا فإن الله غني عنكم ) . والواو واو الحال أي والحال أن الله غني عنهم من زمن مضى فإن غني الله عن إيمانهم مقرر في الأزل .

ويجوز أن يراد : واستغنى □ عن إعادة دعوتهم لأن فيما أظهر لهم من البينات على أيدي رسلهم ما هو كاف لحصول التصديق بدعوة رسلهم لولا المكابرة فلذلك عجل لهم العذاب .  
وعلى الوجهين متعلق ( استغنى ) محذوف دل عليه قوله ( فكفروا ) . وقوله ( ب البينات )  
والتقدير : واستغنى □ عن إيمانهم .

وجملة ( وا □ غني حميد ) تذييل أي غني عن كل شيء فيما طلب منهم حميد لمن امتثل وشكر .  
( زعم الذين كفروا لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على □  
يسير [ 7 ] ) هذا ضرب ثالث من ضروب كفر المشركين المخاطبين بقوله ( ألم يأتكم ) الخ  
وهو كفرهم بإنكارهم البعث والجزاء .

والجملة ابتدائية . وهذا الكلام موجه إلى النبي A بقرينة قوله ( قل بلى ) . وليس هذا  
من الإظهار في مقام الإضمار ولا من الالتفات بل هو ابتداء غرض مخاطب به غير من كان الخطاب  
جاريا معهم .

وتتضمن الجملة تصريحاً بإثبات البعث وذلك الذي أوتي إليه فيما مضى يفيد بالحق في قوله  
( خلق السماوات والأرض بالحق ) وبقوله ( يعلم ما في السماوات والأرض ) كما علمته آنفاً .  
والزعم : القول الموسوم بمخالفة الواقع خطأ فمنه الكذب الذي لم يتعمد قائله أن يخالف  
الواقع في ظن سامعه . ويطلق على الخبر المستغرب المشكوك في وقوع ما أخبر به وعن شريح :  
لكل شيء كنية وكنية الكذب زعموا " أراد بالكنية الكناية " . فبين الزعم والكذب عموم  
وخصوص وجهي .

وفي الحديث " بئس مطية الرجل إلى الكذب زعموا " أي قول الرجل زعموا كذا . وروي أهل  
الأدب أن الأعشى لما أنشد قيس بن معد يكرب : الكندي قوله في مدحه :  
ونبت قيساً ولم أبله ... كما زعموا خير أهل اليمن غضب قيس وقال له " وما هو إلا  
الزعم "